

التغير الكوني قبيل قيام الساعة في آيات القرآن الكريم

إعداد /

صبري حسن إبراهيم حسان

ملخص البحث

"التغير الكوني قبيل قيام الساعة في آيات القرآن الكريم"، هو الحقيقة منذ نزول القرآن على النبي الخاتم سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -.

حيث يشتمل على معجزات ذكرها القرآن الكريم، وأيدتها النظريات والأبحاث العلمية، فهذه الآيات يدور محورها حول حقيقتين عظيمتين هما: ذكر (حقيقة القيامة، وحقيقة الوحي والرسالة)، وكلاهما من لوازم الإيمان والتفكير في مخلوقات الله وآياته العظيمة، وما يحدثه الله عز وجل - في هذا الكون علويه وسفليه من ليل ونهار، ورياح وأمطار، ورعد وبرق، وخسوف وكسوف، وزلازل وبراكين، وفيضانات وسيول وغير ذلك، كل ذلك بتصريف من الله وحده - عز وجل - عظمة واعتباراً لمن اعتبر وهذا التفكير إنما يدل على أن هذا الكون له خالق مالك متصرف، مستحق للعبادة وحده، فهو سبحانه يظهر آياته الكونية للناس؛ ليستدلوا بها على أنه هو المستحق للعبادة وحده، وأن كل ما سواه هو الباطل الذي يضمحل ويفنى، والقرآن لم يذكر هذه الآيات الكونية على أنها مقصودة لذاتها، ولكنها دعوة عملية للإيمان بالله من منطلق أن كل ما نشاهده في هذا الكون فهو خاضع للنظام الدقيق وللعناية الفائقة، ولرحمة الرحمن بعباده.

Research Summary

(The cosmic change prior to the onset of the Hour in the verses of the Noble Qur'an), is the truth since the revelation of the Qur'an to the final Prophet, our master Muhammad "Peace be upon him"

Where it includes miracles mentioned in the Holy Qur'an, and supported by theories and scientific research, these verses revolve around two great facts: mentioning (the truth of the resurrection, and the truth of revelation and the message), both of which are necessary for faith and contemplation of God's creatures and His great signs, and what God - Peace be upon him- brings about in This universe is upper and lower in terms of night and day, winds and rains, thunder and lightning, eclipses and lunar eclipses, earthquakes and volcanoes, floods and torrential rains and other than that, all of that is directed by God alone

- Peace be upon him - an admonition and consideration for those who consider and this reflection only indicates that this universe has a Creator, Owner and Discipline He is worthy of worship alone, for He, Glory be to Him, shows His cosmic signs to people. To infer that he alone is worthy of worship, and that everything else is him.

It is the falsehood that vanishes and perishes, and the Qur'an did not mention these cosmic verses as being intended for themselves, but it is a practical call to believe in God on the basis that everything we see in this universe is subject to the

precise system and the great care, and the mercy of
the Most Merciful to His servants

المقدمة

إن المتفكر في الكون يرى فيما لا يدعو للشك قدرة الله فيه، فالسماء التي رفعها - الله تعالى - بغير عمد، وزينها بالكواكب والنجوم والشهب، فكانت في أحسن حال، ففيها الشمس التي تضيء الأرض نهارًا، وكذلك يوجد بها القمر وهو معتم لا ينير، ولكنه يعكس ضوء الشمس الساقط عليه، فنراه ينير الأرض ليلاً، وكذلك يوجد بها أيضاً النجوم والشهب وغيرها....

والأرض خصها الله تعالى بنعم عظيمة؛ لخدمة هذا الإنسان، منها الجبال الرواسي التي جعلها الله أوتادًا، والبحار التي سخرها الله؛ لخدمة الإنسان.

ويهدف هذا البحث إلى التذكير بأن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، وأنه المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة، وأن هناك نظريات وأبحاثاً علمية ستظل تثبت صدقة أبد الأبد.

وكذلك التذكير بنهاية الكون، وأن هذه الآيات القرآنية التي ذكرت التغير الكوني تتلاقى بدايتها عن الحديث عن اختلال النظام الكوني، وتقرير هذه الحقيقة المعجزة التي يتغير بها الكون قبيل قيام الساعة.

الدراسات السابقة:

هذا الموضوع بهذا العنوان لم يتطرق له باحث من قبل (حسب علمي واطلاعي) وإن بعض الكتابات المفرقة في جزء منه ونذكر بعض أسماء الباحثين في هذا البحث:

١- "منهج القرآن الكريم في عرض الظواهر الكونية"، المقدمة من الباحثة: ليلي بنت صالح بن علي الزامل، لنيل درجة الدكتوراه في تفسير وعلوم القرآن من قسم الدراسات الإسلامية، بكلية التربية للبنات بجدة عام (١٤٢٠هـ).

٢- "الفلك وعلاقته بالعقيدة في الكتاب والسنة"، المقدمة من الباحث: عبد الله بن محمد بن سعيد الأنصاري، متطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمركز الدراسات العليا المسائية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة عام (١٤١١هـ).

٣. الآيات الكونية دراسة عقديّة، مقدمة من الباحث: عبد المجيد بن محمد الوعلان، لنيل درجة الماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية - الرياض، عام (١٤٣٣هـ).

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة وفيها التوصيات والنتائج والفهارس.

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، أسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والمنهج المتبع.

- التمهيد : ويشتمل على ملخص موجز لهذا البحث.
- الفصل الأول: الظواهر الكونية قبيل قيام الساعة. ويشتمل على مبحثين:
 - المبحث الأول: خروج الشمس من جهة الغرب، وفناء الكون.
 - المبحث الثاني: من أشراط وعلامات قرب وقوع الساعة.
- الفصل الثاني: الصور البلاغية لهذه الآيات في إثبات قدرة الله، وتصوير هذه الأحداث قبيل قيام الساعة. ويشتمل على ثلاثة مباحث:
 - المبحث الأول: التصوير القرآني لنهاية الكون، بتكوير الشمس وانكدار النجوم.
 - المبحث الثاني: التصوير القرآني للسماء والأرض يوم القيامة.
 - المبحث الثالث: علاقة هذه الآيات ببعضها، وأوجه الاتفاق والاختلاف بينهما، والصور البلاغية فيها.
- الفصل الثالث: بيان القرآن الكريم لنهاية الكون وتصديق العلماء له. ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: نظرية الانفجار العظيم (Big Bang Theory).
- المبحث الثاني: نظرية التمدد المستمر.
- المبحث الثالث: علماء الفلك والفيزياء والجولوجيا يشهدون بصدق القرآن الكريم.

منهج البحث:

- (١) الرجوع إلى المصادر الأصلية، لجمع مادة الرسالة وتوثيقها، من أجل تأصيل هذا الموضوع المهم، والرجوع به إلى ينابيعه الصافية.
 - (٢) تخريج الأحاديث، والآثار، فما كان في الصحيحين، فذلك دليل كاف على صحته، وما لم يكن فيهما؛ قمت بتخريج هذه الأحاديث مع ذكر الحكم عليها، مستعيناً بكلام الأئمة الحفاظ في ذلك.
 - (٣) بيان المشترك بين الآيات القرآنية، وكذلك شرح الآيات التي تناولت قضية توحيد الله - عز وجل -.
 - (٤) عزو الآيات القرآنية، وذلك بذكر اسم السورة، ورقم الآيات.
- وسوف أعرض فيما يلي بعض ما سيحدث للكون قبيل قيام الساعة كما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة وأقوال العلماء.

لولا: فناء السماء ودمارها:

١- انشقاق السماء وثور الملأكة:

السماء كانت مُغلقة ومحبوكة، وخلقها الله بأجل خلق، وزينها بأحسن زينة، فماذا سيحدث لها قبيل قيام الساعة؟ تنشق السماء، ويفنى كل من فيها وتنفطر، وتنشق، يقول الله تعالى: **{إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (١) وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ}** (١) يقول: انشقت وسمعت لربها وأطاعت، وكان بحق لها ذلك (٢).

٢- انفتار السماء وتناثر كواكبها:

تنفطر السماء كما أخبر بها القرآن يقول الله تعالى: **{إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ}** (١) **{وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ}** (٢) ومعنى قول الله تعالى **{انْفَطَرَتْ}** أي انشقت ومعنى قوله تعالى: **{وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ}** أي: تساقطت (٤). ومعنى ذلك انتهاء حال السماء، مثلاً كما نرى نحن في حياتنا بيت مزخرف تعجب الناس له من جماله وارتفاعه وتصميمه ثم يجر هذا البيت أمام الناس أنقاضاً لسبب من الأسباب فيحدث هذا الأمر للسماء قبيل قيام الساعة.

٣- مور السماء واضطرابها:

ذكر الله - تبارك وتعالى - أن السماء يوم القيامة تمور أي: تدور حينما يقول - جل شأنه -: **{يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا}** أي: تدور السماء وتضطرب، وتدوم حركتها بانزعاج وعدم سكون (٥)، أي: لا تهدأ ولا تبقى على حاله. ويقول "الإمام الزمخشري" في شرح هذه الحالة: **تَمُورُ السَّمَاءُ** تضطرب وتجيء وتذهب، وقيل: المور تحرك في تموج، وهو الشيء يتردد في عرض كالداغصة في الركبة (٦).

٤- جذبها وفتحها كالأبواب وذهاب ضوئها:

وكذلك يقول الله تعالى في موضع آخر: **{إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ}** (٧) **{إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ}** (٧) **{فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ}** (٨) **{وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ}** (٩) (٧)، ومعنى هذه الآيات: أن كفارة مكة لما أنكروا البعث أقسم الله تعالى بما بين من قدرته وتدبيره الملائكة، والسحاب، والرياح أن قيام الساعة كائن فقال: **{إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ}**؛ أي إن أمر الساعة والبعث لكائن لا محالة، ثم ذكر متى يقع فقال: **{فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ}**؛ أي نجى نورها وسلب ضوءها وتساقطت، كما قال الله تعالى: **{وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ}** [الانفتار: ٢]. **قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ}**؛ أي شقت من هيبة الرحمن، وانفطرت بعد أن كانت سقفاً محفوظاً، فأول حالها الوهي ثم الانشقاق، قال الله تعالى: **{وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ**

يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةً^(٨)، ثُمَّ يَذْكَرُ لَنَا الْقُرْآنَ أَنَّمَا سَتَفْتَحُ كَمَا يَنْفَتِحُ بَابَ الْبَيْتِ قَالَ تَعَالَى:
 ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾^(٩)

٥- تكوير شمسه وانكدار نجومها:

خلق الله السماء وبها النجوم والكواكب والمذنبات والشهب وغيرهم، والشمس نجم من النجوم، فماذا يحدث لهم قبيل قيام الساعة؟ أمّا الشمس فإنها تُكْوَرُ، ويذهب نورها، وكذلك النجوم تنكدر أي: تندثر، ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾^(١٠) وذكر العلماء أكثر من رأي في تكوير الشمس وانكدار نجومها، سنذكر بعضها:

يقول "الإمام البغوي" في تفسيره ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَاضِي قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدَ الصَّنْعَانِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - - : (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ فِي أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^(١١))، ويكمل الإمام البغوي قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَظْلَمْتُ، وَقَالَ قَتَادَةُ وَمُقَاتِلٌ وَالْكَلْبِيُّ: ذَهَبَ ضَوْوُهَا، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: غُوِّرَتْ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: اضْمَحَلَّتْ^(١٢).

ثانيا: موت جميع المخلوقات على الأرض:

٦- مَدُّ الْأَرْضِ وَالْقَاءُ خَيْرَاتِهَا:

خلق الله الأرض وشق فيها البحار والأنهار وجعل عليها الجبال الرواسي أوتاداً للأرض تثبتها وجعلها مسخرة لجميع الكائنات، وتلك الحياة لوقت محدد ثم يحدث لها الكثير من الأحداث، تلك الأرض، وتنسف الجبال، وتتفجر الأنهار والبحار، كما أنها تمتد وتتسع؛ لكي تسع الناس في الحشر، وتُخْرَجُ كُلُّ مَا فِيهَا مِنَ الْمَوْتَى، وَالْكُنُوزَ وَالْأَرْزَاقَ وَكُلَّ شَيْءٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ (٤) وَأَدْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ (٥)﴾^(١٣).

ذكر الإمام "الثعلبي" في (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) معنى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ مَدُّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِي، وَيَزِيدُ فِي سَعَتِهَا، وَمَعْنَى: ﴿وَأَلْقَتْ﴾ أَخْرَجَتْ وَمَعْنَى: ﴿مَا فِيهَا﴾ مِنَ الْمَوْتَى وَالْكُنُوزِ، وَمَعْنَى: ﴿وَتَخَلَّتْ﴾: وَخَلَّتْ، فَلَيْسَ فِي بَاطِنِهَا شَيْءٌ^(١٤).

٧- تدك الأرض دكاً شديداً:

ثم بعد ذلك هناك تصوير آخر لحال الأرض أنها تدك قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾، قال ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- في تفسير الآية: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ "تَحْرِيكُهَا"، وقال أنس -رضي الله عنه-: "تُحْمَلُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَيُدَكُّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ"، وذكر "القرطبي" - رحمه الله تعالى -: "دُكَّتْ، أَي: اسْتَوَتْ فِي الْإِنْفِرَاشِ، فَذَهَبَتْ دُورُهَا وَقُصُورُهَا، وَجِبَالُهَا وَسَائِرُ أُبْيُونِهَا، وَالْحَاصِلُ أَنَّ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ الَّذِي هُوَ عَظِيمٌ رُؤْيَتُهُ وَكَبِيرٌ هَيْبَتُهُ بِمِثْلِ الْقُلُوبِ رَعْبًا وَخَوْفًا^(١٥)، ويذكر لنا الإمام السمرقندي في تفسيره (بحر العلوم)، ثم قال عز وجل "كلا" يعني حقا ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ يعني زلزلت الأرض زلزلة والتكرار للتأكيد "وجاء ربك" قال بعضهم هذا من المكتوم الذي لا يفسر، وقال أهل السنة "وجاء ربك" بلا كيف، وقال بعضهم معناه وجاء أمر ربك بالحساب "والملك صفا صفا" يعني صفوفا كصفوف الملائكة^(١٦).

٨- تسيير الجبال {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦)}:

الجبال بعدما كانت فوق الأرض حصناً وقوة وبعد أن كانت ثابتة وراسخة، أصبحت سراباً، ينسفها الله تعالى حتى تكون كالصوف المتطاير، يسيرها الله بعد ما كانت أوتاداً في الأرض، يقول الله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠)﴾^(١٧) {وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ} عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ {فَكَانَتْ سَرَابًا} أَي هَبَاءٌ مُنْبَتًّا لِعَيْنِ النَّاطِرِ كَالسَّرَابِ^(١٨) بقدره الله القادر تنسف ولا يكون لها وجود كأنها لم تكن يقول الله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧)}^(١٩)

٩- الحساب علي أرض لم ترتكب عليها خطيئة:

ويذكر رب العزة أن الحساب سيكون بعد ذلك على أرض مختلفة غير هذه الأرض التي سفكت فيها الدماء، وانتهكت فيها الجرائم، فيكون الحساب علي أرض طاهرة لم تسفك فيها الدماء، ولم يكن فيها ظلم ولا جور، ولم يفعل عليها خطيئة يقول الله تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ

الْوَّاحِدِ الْفَهَّارِ (٤٨)»^(٢٠)، ويذكر لنا الإمام الطبري صفة هذه الأرض فيقول: عن أبي إسحاق، قال: سمعت عمرو بن ميمون يحدث، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ) قال: أرض كالفضة نقية لم يسيل فيها دم، ولم يُعْمَل فيها خطيئة، يسمعون الداعي، وينفذهم البصر، حُفَاةٌ عُرَاةٌ قِيَامًا، أحسب قال: كما خُلِقُوا، حتى يلجمهم العرق قِيَامًا وَحْدَهُ^(٢١).

ثالثاً: بعض علامات الساعة:

١٠- خروج المسيح الدجال:

المسيح الدجال: مَطْمُوسُ الْعَيْنِ أَي مَمْسُوحها مِنْ غَيْرِ فُحْشٍ. وَالطَّمْسُ: اسْتِثْصَالُ أَثَرِ الشَّيْءِ^(٢٢)، وهو لقب لرجل يعد ظهوره علامة من علامات الساعة الكبرى عند المسلمين، والمقصود بالدجال أي: الكذاب من الدجال والتغطية أي: دائماً لا يقول الحقيقة، وجاء في (معجم مقاييس اللغة):

الدَّجَلُ: تَمْوِيهِ الشَّيْءِ، وَتَمْيِي الكَذَابُ دَجَالًا، وَفِي كِتَابِ الْحَلِيلِ: الدَّجَالُ: الكَذَّابُ، وَإِنَّمَا دَجَلُهُ كَذْبُهُ؛ لِأَنَّهُ يُدَجِّلُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ^(٢٣).

١١- قول سيدنا عيسى بن مريم - عليه السلام -:

أخبرنا القرآن الكريم والسنة المطهرة أنه في آخر الزمان سينزل سيدنا عيسى - عليه السلام - في زمن يكثر فيه الظلم والفساد والطغيان، يأكل القوي فيه الضعيف، فيحكم بين الناس بالعدل فيُنصِرُ المظلومَ ويُعاقبُ الظَّالمَ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنزِيرَ، وَيَعْمُ الحَيْرَ على أهل الأرض، وذلك في الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه:

عَنِ ابْنِ شَهَابٍ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ حَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو

هُرَيْرَةٌ: "وَأَقْرَبُوا إِنْ شِئْتُمْ: {وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} (١٥٩) (٢٤) (٢٥)

١٢ - خروج يأجوج ومأجوج:

جاءت قصة يأجوج ومأجوج في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة في قصة ذي القرنين ، وهما أخوان مفسدان في الأرض يقول الله تعالى: {قَالُوا يَا دَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا} (٩٤)

قوله (إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ) وهما أخوان من ولد يافث بن نوح، وقوله (مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) يعني بالفساد القتل، يعني: أرض المسلمين، وقوله (فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا) يعني جعلًا وقوله (عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا) أي: حتى لا يصلون إلينا^(٢٦)، وسيخرجون قبيل الساعة كما ذكر القرآن الكريم {حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ} (٢٧)

١٣ - الدابة التي تكلم الناس:

أشار القرآن الكريم أن هناك دابة ستخرج لتكلم الناس قبيل قيام الساعة، هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله، وتبدلهم الدين الحق، كما ذكر القرآن الكريم قال تعالى: {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ} (٨٢) (٢٨)

١٤ - تقارب الزمان:

أيضًا من العلامات التي ستظهر قبيل قيام الساعة تقارب الزمان ونحن جميعًا نشعر به.

ما معنى تقارب؟ يُقَالُ لِلشَّيْءِ إِذَا وُلَّى وَأَدْبَرَ: تَقَارَبَ يُقَالُ: تَقَارَبَتْ إِبِلٌ فُلَانٍ: إِذَا قَلَّتْ وَأَدْبَرَتْ، وَيُقَالُ لِلْقَصِيرِ: مُتَقَارِبٌ، وَقِيلَ: مَعَى اقْتِرَابِ الزَّمَانِ: اغْتِدَالُهُ حِينَ يَسْتَوِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ^(٢٩)، تمر بنا الأيام مسرعة كلمح البصر، فكل من يعيش في

مجتمعنا اليوم يؤكد هذه الحقيقة الملموسة، فالسنة تمر بنا كالشهر، والشهر يمر بنا كالأُسبوع، والأُسبوع يمر بنا كالיום، واليوم يمر بنا كالساعة، ويُحدِّث المرء أخاه فيقول له هل تذكر يوم كذا ويوم كذا؟ فيقول نعم والله كأنه بالأمس.

١٥- الدخان:

سميت سورة في القرآن الكريم بسورة الدخان، وجُعِل من الدخان مصدر لتخويف الكفار والمشركين، فقد سلَّط الله - عز وجل - عليهم الدخان بسبب تكذيبهم للرسول - ﷺ -، يقول الله تعالى: ﴿فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ ۗ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢)﴾^(٣٠).

١٦ - الأنحسفة:

أخبرنا النبي - ﷺ - أنه في آخر الزمان قبيل قيام الساعة هناك علامات أخرى ستحدث قبيل قيام الساعة يقول النبي سيدنا حذيفة بن أسيد: (اطلع النبي - ﷺ - علينا ونحن نتذاكر الساعة فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة فقال إنها لن تقوم حتى ترون عشرين آيات الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، وبأجوج ومأجوج، وثلاث خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب)^(٣١).

رابعاً: بعض الصور البلاغية في بعض الآيات:

١٧- وصف الناس بالسكر يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم ۖ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾
وترى الناس سكارى تشبيه بليغ، حذف فيه أداة التشبيه والشبه، أي كالسكارى من شدة الهول. إن من أدلة المجاز صدق نقيضه كقولك زيد حمار إذا وصفته بالبلادة

والغباء ثم يصدق أن تقول وما هو بجمار فتنفي عنه الحقيقة فكذلك الآية بعد أن أثبتت السكر المجازي نفى الحقيقة أبلغ نفي.

خامساً: نظرية الانفجار العظيم:

١٨- وصف نظرية الانفجار العظيم:

يقول فهد عامر الأحمدى: أن الكون تولد قبل ١٤ بليون عام.. فقبل هذه الفترة لم تكن هناك نجوم، أو مجرات، أو كواكب بل كرة واحدة كثيفة؛ لا يتجاوز حجمها حجم الشمس.. وبسبب كثافتها العالية، وجاذبيتها الساحقة اندمجت الذرات بداخلها، وانفجرت «نوويًا» في كل اتجاه.. هذا الانفجار كان من القوة، والسرعة لدرجة تحولت مادتها إلى «دخان كوني» تكثفت منه لاحقاً النجوم، والكواكب في بيور متفرقة يقول الله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١)}

سادساً: نظرية التمدد المستمر:

١٩- وجود تمدد مستمر في الكون:

أكد علماء الفلك والفيزياء وغيرهم أن هناك تمدد مستمر في الكون، وأن الكون يتسع ويتسع حتى يصل إلى وقت معين لا يعلمه إلا الله يعود إلى أصله، كما قال الله تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۗ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ۗ وَعَدًّا عَلَيْنَا ۗ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤)}

الخاتمة

أولا النتائج:

وقد توصلت من خلال البحث والدراسة للنتائج التالية:

- (١) عدم الأخذ بظواهر الآيات، من غير فهم لما تحمله هذه الآيات من معانٍ، فلا بد من الاطلاع على كافة كتب التفسير واستنباط الرأي الصحيح.
- (٢) جميع الأرقام التي دلت على زمن خلق السماء، أو خلق الأرض، أو بداية الكون أو بُعد المسافات بين الأجرام السماوية أو بين الكواكب والشمس، وغيرها هي أرقام افتراضية من اجتهاد العلماء؛ لأن الرقم الصحيح لا يعلمه إلا الله.
- (٣) أن الكون هالك وفانٍ لا محالة، وهذا ثابت بالكتاب والسنة واجتهاد العلماء، توصل العلماء إلى التنبؤ بعمر الكون بدايته ونهايته ربما يكون هؤلاء العلماء على صواب أو خطأ.
- (٤) البحث في عظمة خلق الله من خلال فهم التصوير القرآني لكلمات كثيرة منها: سُجرت، مسجور، انتشرت، انفطرت، وسع، موسعون وغيرها، فلا بد قبل التحدث عنها قراءتها في أكثر من تفسير، وفهم معانيها اللغوية.
- (٥) آيات القرآن التي بينت خلق الكون ليس فيها اختلاف ولا تعارض، والقرآن يفسر بعضه بعضا، فالآيات كلها في سياق واحد ليس فيها أي تعارض.
- (٦) النجوم ليست ثابتة، كما يعتقد البعض، وإنما لها ولادة، ولها فترة من الزمن تعيشه ثم تموت وتتساقط.
- (٧) جريان الشمس وعدم ثباتها ثابت بالكتاب والسنة وعند علماء الفلك.
- (٨) اختلاف العلماء في سعة الكون هل الكون ثابت منذ خلقه ربه، أم يتسع كما قاله علماء الفلك، لا يزال الاختلاف بين الرأيين منذ أنزل الله القرآن إلى الآن، وسيظل الخلاف إلى قيام الساعة.
- (٩) هناك نظريات اختلف العلماء علي صحتها مثل دوران الأرض حول الشمس، وكرويتها وغيرها إلى أن أكد العلماء صحتها، وكذلك نظريات أخرى

مثل تمدد الكون واتساعه قيد البحث، وسيأتي اليوم الذي سنعلم فيه الحقيقة، ونرى علماء الفلك هل كانوا على حق أم على باطل؟

(١٠) الإعجاز القرآني في قوله تعالى: **{وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣)}** (٣٢)

ما شاهده العالم بأجمعه في (تسونامي) عن سلسلة من الموجات الضخمة تنتج عن اضطرابات تحت الماء، وكثيراً ما تحدث موجات تسونامي قريباً من الشاطئ وتسبب في كوارث طبيعية وبشرية واقتصادية بسبب الزلازل، والأنشطة البركانية، والانحيارات الأرضية الساحلية، وذلك تمهيداً لقول الله تعالى: **{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥)}** (٣٣).

ثانياً: التوصيات: يوصي الباحث:

(١) بالبحث في كل الأمور الخاصة بالكون ومتابعة النظريات والاكتشافات التي توصل لها العلماء؛ لأن هذا يعتبر جانباً من جوانب العبادة لأن الله لم يخلقنا عبثاً ولا مصادفة وأنه أعطى الإنسان العقل وميزه عن المخلوقات بالعلم والمعرفة.

(٢) إظهار جوانب القرآن الإعجازية في خلق السماوات والأرض، وغيرها من خلال كتب التفسير وعلوم القرآن المختلفة، فهي تساعد علماء الغرب وغيرهم من الوصول إلى حقائق أظهرها القرآن الكريم، وكانت سبباً في إسلام بعضهم.

(٣) الاهتمام بكتب التراث وخاصة العلماء الذين كانت لهم آراء واضحة استنبطوها من فهم عميق للكتاب والسنة وآراء الصحابة والتابعين الأجلاء كتفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ومفاتيح الغيب للإمام الرازي، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي، ولباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي وغيرهم، واستخراج مافيها من كنوز في فهم خلق الكون وقدرة الله المقتدر في ذلك.

والله الموفق لما فيه الخير والسداد

الهوامش

- (١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، (٤/٦٣٣).
- (٢) سورة الانشقاق الآية (٢-١).
- (٣) سورة الانفطار الآية (٢-١).
- (٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: الإمام بن كثير القرشي البصري، ٤/٥٨.
- (٥) ينظر: تفسير السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، ١/٨١٣.
- (٦) ينظر: تفسير الكشاف، الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، ٤/٤٠٩. قوله «كالداغصة في الركبة» هي العظم المدور الذي يتحرك على رأس الركبة، كما في الصحاح.
- (٧) سورة المرسلات آيات (٧، ٨، ٩).
- (٨) سورة الحاقة: (١٦).
- (٩) سورة النبأ: (١٩).
- (١٠) سورة التكويد: آية (٢-١).
- (١١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب: مسند عبدالله بن عمر - ٣ - رقم (٤٩٤١)، ٩/١١ (صحيح).
- (١٢) ينظر الإمام البغوي، معالم التنزيل، ٥/٢١٤.
- (١٣) سورة الانشقاق: (٣ - ٤).
- (١٤) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن الإمام الثعلبي، ٢٩/٩٧.
- (١٥) ينظر: الدر المنثور، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ٨/٥١.
- (١٦) ينظر: بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ٣/٥٥٧.
- (١٧) سورة النبأ: (٢٠).
- (١٨) ينظر: الإمام البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (٨/٣١٤).
- (١٩) سورة طه آية: (١٠٦ - ١٠٧).

- (٢٠) سورة إبراهيم آية (٤٨).
- (٢١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن الإمام الطبري، ٤٦/١٧.
- (٢٢) ينظر: لسان العرب، الإفريقي، (طمس)، ١٢٦/٦.
- (٢٣) ينظر مقاييس اللغة معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر، (دَجَل)، ٣٣/٢.
- (٢٤) سورة النساء: (١٥٩).
- (٢٥) أخرجه الإمام البخاري، صحيح البخاري، باب نزول عيسى بن مريم، رقم (٣٤٤٨)، ١٦٨/٤.
- (٢٦) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، ٦٠٢/ ٢.
- (٢٧) سورة الأنبياء: (٩٦).
- (٢٨) سورة النمل: (٨٢).
- (٢٩) ينظر: شرح السنة للبخاري، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ١١٠/١٢.
- (٣٠) سورة الدخان: (١٠-١٢).
- (٣١) أخرجه الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، باب: حديث أبي سريجة الغفاري، رقم (١٦١٨٦)، ٦/٤، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.
- (٣٢) سورة الانفطار: (٣).
- (٣٣) سورة الزلزلة: (١ - ٥).
- (٣٤) ينظر: إعراب القرآن وبيانه المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ) دار الإرشاد للشؤون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ٣٨٩/٦.
- (٣٥) سورة فصلت: (١١).

المصادر والمراجع

- ١) البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت (١٤٢٠هـ).
- ٢) التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس (١٩٨٤هـ).
- ٣) تفسير البغوي: لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٤) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد ابن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٥هـ)، المحقق: علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٦) تفسير الشعراوي - الخواطر: للإمام محمد متولي الشعراوي، (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.
- ٧) تفسير عبد الرزاق الصنعاني: تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد - الرياض الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ٨) تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ).
- ٩) تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- ١٠) تفسير الماوردي = النكت والعيون المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية.
- ١١) تفسير المراغي، الإمام أحمد بن مصطفى المراغي شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ.
- ١٢) تفسير مقاتل بن سليمان المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ) المحقق: عبد الله محمود شحاته الناشر: دار إحياء التراث، بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.
- ١٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.
- ١٤) جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري، (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٥) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ١٦) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- ١٧) سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن شداد بن عمرو السجستاني، (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.
- ١٨) سنن ابن ماجه: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

- ١٩) شرح صحيح البخاري: لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف ابن عبد الملك، (المتوفى: ٤٤٩هـ)، المحقق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- ٢٠) صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل أبو عب دالله البخاري الجعفي، (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٢١) صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ).
- ٢٣) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): للفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٢٠هـ).
- ٢٤) المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.
- ٢٥) الوسيط في تفسير القرآن الجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور: عبد الحي الفرماوي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

الظواهر الجوية في القرآن الكريم بين تفسيري طنطاوي جوهري، ومحمد متولي الشعراوي "دراسة مقارنة"

Climatic Phenomena in the Glorious Quran between Quranic Exegesis of Tantawi Gohari and Mohamed Metwalli Al-Sharawi "A Comparative Study"

إعداد الباحث/

عبد التواب شكري مملوح إبراهيم عامر

الباحث في معهد الدراسات الأفروآسيوية للدراسات العليا-جامعة قناة السويس

تخصص - الماجستير - في الدراسات الأفروآسيوية

ملخص البحث

بيّن القرآن الكريم كثيراً من المعجزات التي أشارت إلى بعض الظواهر الطبيعية التي أبدعها الخالق - سبحانه وتعالى-، وحضّ القرآن الكريم على تعقل وتفهم تلك الحكم والعبر فيها، من خلال النظر في الآيات الكونية، وهذا من أعظم الدوافع إلى زيادة الإيمان وتعلق القلب بالخالق - جل وعلا-. إذ أن الكون بما فيه خلق من خلق الله، والقرآن كلام الله - جل وعلا - المعجز بألفاظه ومعانيه، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يتعارض كلام الله مع النواميس والحقائق التي أودعها الله - سبحانه وتعالى- في خلقه، إذا اتبع الناظر في كليهما المنهج السليم، والمسلك الموضوعي الأمين.

وهذه الدراسة تبحث في بعض الآيات القرآنية التي تكلمت عن الظواهر الجوية من خلال النظر في تفسيري الشيخين طنطاوي جوهري، ومحمد متولي الشعراوي - رحمهما الله تعالى - لبيان آثار الإعجاز العلمي من خلال تفسيرهما من جهة، وذكر مقارنة وتحليل بينهما من جهة أخرى، وكذا بيان الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بذكر الحقائق العلمية الثابتة المتعلقة بذات الموضوع من جهة ثالثة، وعرض ذلك كله بما يتفق وضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. والله الموفق والمستعان.

وقد جاءت هذه الدراسة تحت عنوان: "الظواهر الجوية في القرآن الكريم بين تفسيري طنطاوي جوهرى ومحمد متولى الشعراوي - دراسة مقارنة -".

منهج الدراسة:

اعتمدت في هذه الدراسة على منهج المقارنة، وذلك لطبيعة الموضوع بين تفسيري طنطاوي جوهرى، ومحمد متولى الشعراوي، وذلك للوقوف على ما أمكن استنباطه من نتائج، مستخدماً الأدوات الآتية:

- ١- استخراج الآيات القرآنية المتعلقة بذات الموضوع.
- ٢- تقصي معان الكلمات من معاجم اللغة العربية المعتبرة.
- ٣- ذاكراً رقم الآية واسم السورة.
- ٤- عزو الأحاديث للكتب الستة الصحيحة وحاكما على أسانيدھا ما لم تكن في الصحيحين.
- ٥- التعريف بالأعلام غير المشهورة من مصادرها الأصلية.
- ٦- قمت بالرجوع إلى المصادر الأصلية، وفي حالة نقل نص أضعه بين قوسين مع إعطائه رقماً، وأذكر في الحاشية بيانات الكتاب كاملة إذا كان أول ذكر له، أما إذا تكرر ذكره فإكتفي بذكر اسم الكتاب، والجزء، والصفحة.
- ٧- إذا عبرت عن النص، أو اختصرته، أو ذكرت المراد منه، فأذكر في الحاشية، انظر: مع ذكر اسم الكتاب وبياناته كاملة إذا كان أول ذكر.
- ٨- في حالة وجود كتابين بالاسم نفسه، فإني أذكر اسم المؤلف في كل مرة.
- ٩- قمت بترتيب الدراسة في أغلب موضوعاتها إلى عدة نقاط رئيسية وذلك لاستخراج أوجه الإعجاز المتعددة في الآية القرآنية الكريمة، وحتى لا يكون هناك مجال للشك أو الظنون أو الاحتمال فيما يتم بيانه من إعجاز قرآني، وهذا الترتيب كالاتي: (أ) الحقائق العلمية الثابتة، (ب) الدلالة النصية، (ج) أوجه الإعجاز.
- ١٠- اعتمدت في بيان الدلالة النصية على تقديم ذكر ما جاء في تفسير الشيخ طنطاوي جوهرى فيما يختص بالمعنى المراد إيضاحه، على ذكر ما جاء في تفسير الشيخ الشعراوي؛ وهذا مراعاة السبق الزمني بين حياة الشيخين - رحمهما الله - بيد أن هناك استثناءات اقتضت الحاجة فيها تقديم ذكر ما جاء في تفسير العلامة الشعراوي - رحمه الله -.

١١ - اعتمدت في بيان الراجح فيما يتعلق بالمسائل المختلف فيها بين الشيخين على مقارنة المعاني المتعلقة بالظواهر الجوية المستنبطة من كلا التفسيرين بتفاسير بعض من القدامى والمعاصرين؛ لبيان أبرز من تأثر بهم كلا من الشيخين، ثم مقارنة هذه المعاني بين تفسيري الشيخين، واستخراج المعنى الراجح منهما، ومقارنته بالمكتشفات العلمية الحديثة؛ لبيان بعض من أوجه إعجاز القرآن الكريم واستنباط أسباب الهداية فيه.

Summary

The Holy Qur'an clarified many miracles that referred to some of the natural phenomena that Allah- Glory be to Him- creates, and Holly Quran urges us to understand and comprehend such wisdom and lesson by looking into such cosmic verses. As this is a great reason for increasing faith and getting our hearts attached to the Creator- the Almighty- as the whole universe is one of Allah's creatures, and Quran is the word of Allah- the Almighty- that is miraculous in its vocabularies and meanings. On no circumstance, the Qur'an will come as contradictory with the phenomena and the facts that Allah creates, if the observer follows the right path and honest method in discussing them.

This study examines some Quranic verses that tackled the atmospheric phenomena by reviewing the exegeses of the two Sheikhs Tantawi Jawhari and Muhammad Metwally Al-Shaarawi - may Allah the Almighty have mercy on them - to clarify the manifestations of the scientific inimitability of the Holy Quran through their interpretation on the one hand, and mention a comparison and analysis between them on the other hand, and thirdly, to clarify the scientific inimitability of the Holy Qur'an by mentioning the established scientific facts related to the same subject, and presenting all of this in accordance with the regulations of the scientific inimitability in the Holy Qur'an. May Allah help us in this.

This study came under the title: "The Atmospheric Phenomena in the Holy Qur'an between the exegeses of Tantawi Jawhari and Muhammad Metwally Al Shaarawy - A Comparative Study".

Study methodology:

This study relied on the comparative method, due to the nature of the topic between the exegesis of Tantawi Jawhari

and Muhammad Metwally Al-Shaarawy, in order to find out the results that could be deduced, using the following tools:

١. Extracting Quranic verses related to the same topic.
٢. Finding the meanings of words from the recognized dictionaries of the Arabic language.
٣. Stating the verse number and the name of surah.
٤. Attributing the hadiths to the six authentic books and verifying the validity of their chains of transmission, if they are not included in the two Sahih.
٥. Introducing unfamiliar famous books from their original sources.
٦. I referred to the original sources, and in the case of quoting a text I put it in parentheses with a number, and I write in the footnote the complete data of the book if it is the first mention of it, but if it is repeated, if found that it is sufficient to mention the name of the book, the part, and the page.
٧. When I paraphrase the text, summarize it, or mention what is meant by it, then I write in the footnote, "see: mentioning the name of the book and its full data if it is its first mention".
٨. When there are two books with the same name, I mention the author's name each time.
٩. I arranged the study in most of its topics into several main points in order to extract the various aspects of the inimitability in the holy Qur'anic verse, so that there is no room for doubt, suspicion or possibility regarding the Qur'anic inimitability being explained, and this arrangement is as follows: (A) The established scientific facts, (B) Textual significance, (C) Aspects of inimitability.
١٠. In explaining the textual significance, I relied on presenting what was stated in the interpretation of Sheikh Tantawi Jawhari with regard to the meaning to be clarified, and on mentioning what was stated in the exegesis of Sheikh

Al Shaarawy; This is in order to take into account the temporal precedence between the lives of the two sheikhs - may Allah have mercy on them - but there are exceptions in which it is necessary to firstly mention what came in the exegesis of Al-Shaarawi - may Allah have mercy on him.

١١. I relied, in stating the weighed opinion regarding the issues in which the two sheikhs differ, on comparing the meanings related to atmospheric phenomena deduced from both exegeses with the exegeses of some of the ancient and contemporary scholars; to clarify the most prominent scholars that each of the two Sheikhs were influenced by, then compare these meanings between the two Sheikhs' exegeses, extract the most correct meaning from them, and compare it with the modern scientific discoveries; In order to explain some of the inimitability aspects of the Holy Qur'an and to deduce the reasons for guidance embedded in it.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد،

فإن من أعظم ما صرفت فيه الهمم علم الكتاب المبين، لو أنفق الإنسان عمره ما أدرك كل ما فيه من البلاغة والإعجاز، والدقة المتناهية في نظمه وأسلوبه، ومن هنا اجتمعت كلمة علماء الأمة على العناية بتفسيره، وبيانه ودراسته، واستدراجه كنوزه، فتنوعت طرائقهم في عرض علومه، واختلفت مشاريعهم في إيضاح مكنوناته، وقد تطور هذا الفن، وبلغ ذروته، شأنه شأن العلوم الأخرى. فكان الابتداء بالاعتماد على المنقول حصراً، وهو ما يعرف بـ "التفسير بالمأثور"، ثم دعت الحاجة إلى إقامة الحجج والبراهين العقلية في بيان مدلول الآية القرآنية، فظهر ما يعرف بـ "التفسير بالرأى". ومن ألوان التفسير بالرأى والاجتهاد لون عرض إلى جملة من الحقائق العلمية الموجودة في التنزيل المبين، اختلف فيها أهل العلم بين رافض للخوض فيها، وبين مجيز داع إلى استدراجه أسرارها بقيود وضوابط متفق على بعضها ومختلف على البعض الآخر منها متخذاً مسلكاً في ذلك هو الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجّحت صحته من نظريات العلوم الكونية. وفريق ثالث صرف جهده في هذا الباب إلى التوفيق بين المعاني المتفق عليها للنصوص الشرعية وبين الحقائق الكونية الثابتة، وإظهار وجوه الإعجاز المتعددة إذ هي سبيل رسوخ الإيمان وزيادته من جهة، وطريق الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - من جهة أخرى.

إن الإشارات والحقائق العلمية المختزنة في آيات القرآن الكريم هي سبيل من سبل تجلية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وسبيل لبيان معجزته الخالدة التي هي باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ لذا فقد حاولت في هذا البحث مستعيناً بالله تعالى: استدراج بعض - ولو كان يسيراً - من هذه الحقائق العلمية، من خلال التوصل إلى معنى كلي في ضوء تفسيرين كبيرين لإمامين جليلين قدرًا ومكانة بين علماء الأمة، وإن كان هناك اختلاف في منحي التفسير للقرآن الكريم عند كل منهما، بين موسع في منهج التفسير العلمي ومضيق لذلك، وقد اتبعت في ذلك الضوابط والشروط التي يلزم الباحث التقيد بها، وذلك من خلال المقارنة بين كلا التفسيرين حيث التعرض لتفسير الظواهر الكونية والجوية في القرآن الكريم. والنظر أيضاً في تفاسير القدامى

والمعاصرين، وتحليل ذلك تحليلاً علمياً موافقاً لضوابط الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، والتي تتضمن التفرقة بين النظرية العلمية القابلة للرفض والقبول، والحقيقة الثابتة المتفق عليها، أو التي لا تحتمل الظنون والشكوك، على أن يكون العرض للظواهر الكونية إجمالاً في ضوء التفسيرين، وللظواهر الجوية تفصيلاً في ضوء التفسيرين أيضاً.

وقد كان لاختياري موضوع الظواهر الجوية في القرآن الكريم بين تفسيري الجواهر للشيخ طنطاوي جوهرى، والخواطر للشيخ محمد متولي الشعراوي - رحمهما الله - أسباب عديدة منها:

أولاً: حيي الشديدي لفهم معاني القرآن الكريم والوصول إلى بعض من أسرار إعجازه، وميولي للدراسات العلمية التي تختص باستقراء التفاسير والمقارنة بينها.

ثانياً: محاولة الإسهام في خدمة كتاب الله - جل وعلا-، وبيان أسباب الهداية فيه.

ثالثاً: بيان أوجه الإعجاز العلمي المتعددة في القرآن الكريم والمتعلقة بدراسة الظواهر الجوية فيه؛ حيث إن في ذلك عظيم الأثر في دعوة غير المسلمين من المتخصصين في العلوم الكسبية والمكتشفات الفلكية الحديثة إلى الإسلام، وذلك ببيان حديث القرآن الكريم عن الحقائق العلمية المكتشفة في هذا العصر وما قبله من العصور المتأخرة فيما يخص هذا الباب وغيره من الأبواب العلمية الأخرى.

رابعاً: قلة الكتابات المتخصصة في هذا الفن والتي تعنى بالمقارنة بين التفاسير من أجل الوصول إلى معنى كلي لمفهوم الظواهر الجوية، وما يتعلق بها من آثار إعجازية.

خامساً: محاولة إيجاد دراسة علمية أكاديمية مركزة تنبني في تعاملها مع الآيات الكونية أصالة على لغة العرب، وما صح من تفسير عن السلف، وهذا بالوصول إلى معنى كلي ينبثق من خلال التفسيرين الجليلين للشيخين^(١) طنطاوي جوهرى، ومحمد متولي الشعراوي - رحمهما الله تعالى -.

سادساً: مقارنة ما تناوله الشيخان الكريمان مع ما ذكره المتكلمون في الإعجاز العلمي، ومع أهل التخصص العلمي، لمعرفة مدى دقة تفسيرهما العلمي المستنبط من القرآن وألفاظه العربية، والمستنبط قبل الاكتشافات العلمية الحديثة، لتبيان تماثيه مع التقدم

العلمي المعاصر. وهو ما يجلي التنبه إلى الإشارات القرآنية التي تنطوي على حقائق علمية لم يستكشفها العلم بعد والتي سوف تكتشف لاحقاً.

لأجل ما سبق جاء اختياري لهذا الموضوع وعنوانه: (الظواهر الجوية في القرآن الكريم بين تفسيري طنطاوي جوهرى ومحمد متولي الشعراوي "دراسة مقارنة").

وتتلخص أهمية الدراسة في النقاط الآتية:

أولاً: أن تكامل الفهم لمعاني القرآن الكريم يتأني من خلال النظر إلى ألفاظه الجليلة من كل الجوانب نظرة شمولية لا تهمل بيان تحدي القرآن الكريم، لأصحاب المخترعات العلمية الحديثة، وبيان سبق في إثباتها قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل.

ثانياً: استنهاض عقول المسلمين، واستثارة التفكير الإبداعي، والتشجيع على استعادة الاهتمام بقضية العلوم والتقنية، وبيان أن ذلك وسيلة من أهم وسائل الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى -، في عصر ذاع فيه العلم والتقنيات الحديثة.

ثالثاً: توضح الدراسة أهمية المساهمة في خدمة كتاب الله - سبحانه وتعالى - بما يناسب فهم الأجيال المعاصرة.

رابعاً: تبين الدراسة نتائج علمية معاصرة من خلال البحث والنظر في تفسيرين من أهم التفاسير المعاصرة، ويستخلص فيها بعض من الحجج والبراهين العقلية من خلال التفسيرين، بما يساعد على دحض شبهات المشككين، والرد على افتراءاتهم بصورة علمية تنسجم وتطورات العصر.

خامساً: هذه الدراسة تضع يديك على بعض من وجوه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، من خلال التطابق العلمي الثابت على وجه الحقيقة المؤكدة في باب الظواهر الجوية، مع آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن هذه المسائل في القرن السابع الميلادي، ولم تثبت آليات العلوم المكتسبة حقيقتها إلا حديثاً.

سادساً: تبين الدراسة أهمية البحث في قضايا الإعجاز العلمي القائم على المطابقة بين الصورة البيانية والعلمية الرائعة التي استنبطها علماء التفسير من خلال آيات القرآن الكريم، وبين الحقيقة العلمية الثابتة بما لا يدع مجالاً للشك فيها، والوصول من وراء

ذلك إلى أوجه الإعجاز العلمي المتعددة، واستخدام ذلك كأساس ركين أصيل معاصر في الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - وفي نشر الإسلام في البلاد التي تطورت فيها التقنيات العلمية والمكتشفات الحديثة.

وقد اقتضت الدراسة أن يكون البحث في: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس، وهي كالآتي:

- المقدمة: وتشتمل على: أسباب اختيار الموضوع - الدراسات السابقة - منهج الدراسة إجراءات الدراسة - أهمية الدراسة - إشكاليات الدراسة - أهداف الدراسة - خطة الدراسة.

- التمهيد: ويشتمل على مبحثين:

- المبحث الأول: الجواهر، والخواطر بين المنهج، والقيمة العلمية.

- المبحث الثاني: الغلاف الجوي بين حقائق العلم، وأوجه الإعجاز.

- الفصل الأول: دلالات وإعجاز آيات الريح، والرياح بين التفسيرين.

ويشتمل على أربعة مباحث:

- المبحث الأول: مفهوم الريح والرياح عند الشيخين.

- المبحث الثاني: وصف حركة الرياح عند الشيخين.

- المبحث الثالث: الرياح وأسباب الحياة عند الشيخين.

- المبحث الرابع: الريح معجزة للأنبياء وهلاك للمستكبرين.

- الفصل الثاني: وصف السحاب الركامي المزني بين التفسيرين. ويشتمل على

خمسة مباحث:

- المبحث الأول: مفهوم السحاب، وموقعه في طبقات الغلاف الجوي.

- المبحث الثاني: السحاب في الاستعمال القرآني من خلال تفسير الشيخين.

- المبحث الثالث: السحاب الركامي المزني في علم الأرصاد. - المبحث الرابع:

بيان كلام الشيخين وغيرهما عن مراحل تكون وتطور السحاب الركامي المزني.

– المبحث الخامس: أوجه الإعجاز القرآني في وصف السحاب من خلال تفسيري الشيخين, وغيرهما.

• الفصل الثالث: دلالات وإعجاز آيات الرعد والبرق والصواعق والمطر بين التفسيرين. ويشتمل على أربعة مباحث:

– المبحث الأول: دلالات آيات الرعد والبرق والصواعق.

– المبحث الثاني: دلالات آيات المطر والماء في القرآن الكريم.

– المبحث الثالث: عجائب النعم في آيات المطر بين تفسيري الشيخين.

– المبحث الرابع: الدورة المائية، والاستمطار الصناعي بين تفسيري الشيخين.

ويندرج تحت هذا المبحث هذان الموضوعان إجمالاً:

أولاً: أوجه إعجازية في الدورة المائية.

ثانياً: الاستمطار الصناعي بين النظرية والتطبيق.

وسينتظم البحث في هذين الموضوعين الرئيسيين في إطار عناصر ثلاثة هي:

(أ) الحقائق العلمية.

(ب) الدلالة النصية.

(ج) أوجه الإعجاز.

وفيما يلي بيان تفصيلي لتلك النقاط، وما تحتوي عليه من عناصر مباركة بإذن الله – جل وعلا – سائلاً الله – سبحانه – التوفيق والسداد.

ثولاً: أوجه إعجازية في الدورة المائية:

قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ} (٢).

الآية الكريمة تشتمل على حقائق تشهد بأن القرآن الكريم كلام الله الواحد الأحد, كما تشهد بصدق النبي (صلى الله عليه وسلم) فيما بلغ عن ربه – جل وعلا

- وهذه بعض الحقائق العلمية التي تكلمت عنها الآية الكريمة قبل - ألف وأربعمائة عام-، ولم يكن لأحد من البشر قبل البعثة النبوية، ولا بعد نزول القرآن الكريم، بقرون متطاولة من الزمن على إمام بتلك الحقائق، ولا على دراية كاملة بكل جوانبها وتفصيلها، وستناول بالدراسة والتقصي بعضاً من تلك الحقائق فيما يلي:

(أ) الحقائق العلمية:

بداية إن معرفة الناس بحقيقة الدورة المائية على سطح الأرض ليس بالأمر القديم، ولكن ظهور تلك الحقيقة وانتشارها بين الناس يرجع إلى عقود قليلة قد مضت؛ حيث كان الناس قديماً على سطح هذه الأرض ينتظرون الأمطار للري والزراعة وغيرها، وكان هذا الأمر ليس له أي تفسيرات حتى تبدت هذه الحقيقة لدى العلماء وهي (دورة الماء في كوكب الأرض) وتتمثل هذه الدورة في تبخر المياه من الأنهار والبحار والمحيطات، وبعد ذلك تتحول المياه للأبخرة المكونة للسحب والتي تتحرك بفعل الرياح وأخيراً تحدث بعض الصدمات الكهربائية، والتي ينتج عنها بعد ذلك هبوط الأمطار، تلك العملية تحدث في الطبيعة بشكل دوري ودائم، والغرض منها حفظ كمية المياه على سطح الأرض بالقدر الذي قدره الله.

يبين الأستاذ محمد محمود محمدين طبيعة توزيع الماء على سطح الأرض من خلال الدراسة الآتية فيما مختصره: "الماء هو المادة الوحيدة على سطح هذا الكوكب التي توجد في الطبيعة بحالات ثلاث: سائلة، وغازية، وصلبة، ويتميز الماء بالحركة ليس فقط من مكان لآخر، بل ومن حالة إلى أخرى. فماء البحار يتحول بالحرارة إلى بخار ماء "حالة غازية"، وقد يتحول هذا البخار إلى ماء، أو ثلج "حالة صلبة" إذا ما ساقط الريح السحب إلى مناطق باردة، وتعرف سلسلة التغيرات التي تطرأ على الماء من حيث حالاته، وتغير مكانه بالدورة الهيدرولوجية Hydrologic cycle. وتصل كمية المياه التي تتبخر من المحيطات إلى حوالي ١٠٩ ألف ميل ٣ "١٧٥ ألف كم ٣" في السنة أي: بنسبة ٨٨٪ تقريباً من كميات المياه المتبخرة، ويبلغ ما يتبخر من التربة، والنباتات، والمياه السطحية في داخل القارات بنحو ١٥ ألف ميل ٣ "٢٤ ألف كم ٣". وعلى ذلك يصير مجموع المياه التي تتبخر ١٢٤ ألف ميل ٣ سنوياً، "ما يقرب من ٢٠٠ ألف كم ٣" وتسقط هذه الكمية على هيئة أمطار بنحو ٢٦ ألف ميل ٣ حوالي

٤٢ ألف ميل^٣. على القارات أي بنسبة ٢١٪ من مجموع الأمطار، ونحو ٢٨ ألف ميل^٣ "أي حوالي ١٥٨ ألف كم^٣" على البحار والمحيطات، ووفقاً لهذه الكمية فإن رصيد اليابس من الأمطار يزيد على ما يضيع منه بالبحر بنحو ١١ ألف ميل^٣، حوالي ١٧,٤ ألف كم^٣، وتمثل هذه الكمية الزائدة في مياه الأنهار، والمياه التي تتسرب إلى باطن الأرض"^(٣).

وهنا سؤال يطرح نفسه وهو: إذا كان معدل التبخر الذي يثيره الإشعاع الحراري للشمس على سطح الأرض مختلفاً بين الماء واليابس، فلماذا لم تتناقص مياه البحار والمحيطات منذ تكونها وحتى يومنا هذا؟ ونجد الجواب على هذا السؤال واضحاً فيما قاله الدكتور سليمان عمر قوش، حيث قال ما نصه: "يشير الإشعاع الحراري للشمس تبخر للماء في المحيطات، وكل السطوح الأرضية المغطاة، أو المشبعة بالماء، يتصاعد منها بخار الماء بهذا الشكل نحو الجو، ويشكل سحباً عن طريق تكاثفه عندئذ تدخل الرياح؛ لتؤدي دورها في نقل السحب بعد تشكلها إلى مسافات متنوعة، وقد تختفي السحب دون أن تعطي مطراً، كما يمكن أن تلتقي كتل السحاب مع كتل أخرى؛ لتعطي بذلك سحباً ذات كثافة كبرى، وقد تتجزأ لتعطي مطراً في مرحلة من تطورها، وسرعان ما تتم الدورة بوصول المطر إلى البحار (التي تشكل ٧٠٪ من سطوح الكرة الأرضية). أما المطر الذي يصل إلى الأرض فقد يمتص جزئياً بواسطة النباتات مساهماً بذلك في نموها، وهذه بدورها تقوم من خلال ترشحها بإعطاء جزء من الماء إلى الجو، أما الجزء الآخر فإنه يتسلل بمقدار قد يقل أو يكثر إلى التربة؛ ليتجه نحو المحيطات عبر مجاري الماء، أو قد يتسرب في التربة؛ ليعود نحو الشبكة السطحية، عن طريق الينابيع، أو الأماكن الأخرى التي يخرج منها الماء إلى السطح، ولنقارن معطيات علم الهيدرولوجيا الحديث بتلك التي نجدتها في كثير من الآيات القرآنية المذكورة في هذه الفقرة، سنلاحظ وجود توافق رائع بين الاثنين"^(٤).

بهذا يتضح أن هناك نظاماً عجبياً في كوكب الأرض، وهذا النظام بتقدير الخالق سبحانه وحكمته، فقد شاء - سبحانه - أن جعل الماء يفيض من اليابسة إلى التجمعات المائية على سطح الأرض بصورة لا يستطيع أحد من البشر الوصول إلى جميع تفاصيلها وأسرارها على وجه الدقة.

(ب) الدلالة النصية:**١- تفسير طنطوي جوهرى - رحمه الله :-**

يقول الشيخ جوهرى - رحمه الله - : "إذا خرج الماء من الأجسام بالبخار صار بخارا كما تخرج الأرواح بالموت إلى عالم آخر، وكما أن البخار يرجع فيصير سحابا، فينزل مطرا على اليابسة، فيدخل الأجسام، هكذا أرواحنا خروجها من أجسامنا لا يمنع بقاءها ورجوعها ثانيا إلى عالم الحياة^(٥)، فإذا كان خروج الماء من أجسامنا بصفة بخار لم يدل على أن الماء فنى، بل إنما هو صار بخارا والبخار لم يفن، بل هو موجود فعلا ويرجع ماء وهكذا، فالله تعالى بهذا التصريف يفهمنا أن الماء لم يفن، بل الماء من آدم إلى اليوم وإلى أن تفتى الدنيا هو هو لم يتغير، فالماء الآن هو الماء إلى يوم أن تفتى الأرض، هو الماء الذي كان منذ مئات الألوف من السنين، وهو المطر، وهو الأنهار، وهو البحار، وهو البخار، وهو الذي يرجع إلى البحر الملح، وهو الذي يكون بخارا وفناؤه سيكون يوم أن تفتى الأرض فليس تحت الشمس من جديد، فالماء الذي شربه أجدادنا هو الماء الذي نشربه أو نظيره، ولكن ذلك لم يفن، فإما أن يكون هذا منه، وإما أن يكون ذلك قد رجع إلى البحر وهو فيه الآن، وسيرجع بخارا يوما ما، هذا ملخص المعنى"^(٦).

وفي هذا المضممار الذي تكلم فيه الشيخ جوهرى يقول الدكتور مصطفى محمود وهو يوضح هذه المسألة بصورة طريفة: "إنني أخشى وأنا أشرب عصير الليمون، أن يكون ماؤه قد تضمض به (خوفو)، أو استتثرت به (كيلوباترا)، أو شربه (الإسكندر الأكبر)، قبل ما يزيد على ألفي عام^(٧). لهذا فإن هذه الدورة تسمى الدورة اللائقائية للماء على الأرض، وبسبب دورة الماء هذه فإن كمية الماء الموجودة على الأرض هي نفسها التي كانت على الأرض سابقا - بلا زيادة ولا نقص-^(٨) فقط يتغير الماء من حالة إلى حالة أخرى، ويتحرك من مكان إلى آخر.

٢- تفسير الشعراوي - رحمه الله :-

يقول الشيخ الشعراوي - رحمه الله - في معرض الحث على استغلال واغتنام مرحلة من إحدى مراحل الدورة المائية في كوكب الأرض، وهي العمل على استخراج المياه الجوفية من باطن الأرض والتي قد تكفي لإحياء الأرض الميتة التي قد

تبعد مئات الكيلومترات عن المسطحات المائية، والتي بدورها أيضا تعطي أصحاب النفوس الضعيفة والقلقة من فقدان الماء شيئا من الطمأنينة والسكينة واليقين في قدرة الخالق - جل وعلا - : "لو أن كل جيل سبق قام بمسئوليته؛ لكانت مهمة الأجيال الحالية أقل تعبًا، فما دامت في الدنيا أرض صالحة لأن تنبت كان علينا أن نعدّها ونستغل المياه الجوفية في زراعتها. فالمسألة إذن كسل من أجيال سابقة، وما دام هناك مخزون في المياه الجوفية كان يجب أن نعمل العقل؛ لنستنبط أسرار الله في الكون. فليس من الضروري أن ينزل المطر، لأن الحق يقول: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ}**^(٩). وجعل الله للمياه مسارب في الأرض حتى تستطيع البلاد ذات الحرارة الشديدة الوصول إلى المياه الجوفية ولا تتعرض المياه المنتشرة في مسطحات كبيرة للتبخّر. لقد أخفى الله جزءًا من المياه في الأرض لصالح الإنسان، وفي البلاد الحارة نجد الملح واضحًا على سطح التربة دليل على أن الحق وضع قانون تقطير المياه العذبة؛ لتكون صالحة للشرب والزراعة. وكلنا يعرف قانون التبخر، فعندما تأتي بكوب من المياه، ونشره على سطح حجرة مساحتها خمسة وعشرون مترًا مربعًا، فالمياه تتبخّر بسرعة. لكن لو تركنا كمية المياه نفسها في كوب الزجاج فلن تنقص إلا قدرًا ضئيلاً للغاية. إذا فكلما زاد المسطح كان البخر أسرع. وأراد الحق أن تكون ثلاثة أرباع اليابسة من المياه؛ لأن الماء أصل كل شيء حي. وجعل بعضها من الماء المالح حتى لا تأسن ولا تتغير، وتوجد هذه المياه في مساحة متسعة حتى تتبخّر وتنزل مطرًا، فما يجري في الوديان يجري، والمتبقي من المياه يصنع له الحق مسارب في الأرض لأنه ماء عذب، حتى يستخدم الإنسان ذكائه الموهوب له من الله فيستخرج المياه من الأرض، فالحق خلق لنا كل ما يمكن أن يحقق لنا استخراج قوت الحياة.

وسبحانه القائل: **{قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ}**^(١٠).

فيايكم أن تقولوا: إن السكان سيزيدون عن القوت الذي في الأرض، ولكن اعترفوا بحمول القدرات الإبداعية للاستنباط. فبعد أن يقول الله: **{وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا}** فلا قول يصدّق من بعد قول الله. وهب أن موظفًا - والله المثل الأعلى - جاء في أول الشهر بتموين الشهر كله ووضع في مخزن البيت، وجاء ظهر اليوم ولم يجد زوجته قد أعدت الغداء، فماذا يحدث؟ إنه

يغضب. ولقد وضع ربنا أقاتنا مخزونة في الأرض، ونحن لا نعمل بالقدر الكافي على استنباط الخير منها. وسبحانه يوضح لنا: إن الإنسان إن لم يستفد بالنواميس التي خلقها الله له، ولم ينفذ التكليف أمراً وتهيئاً، فلسوف يتعب الإنسان نفسه؛ فتكون معيشتة ضنكاً. فسبحانه يقول: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(١١). هذه القرية كانت تتمتع بالأمن والاطمئنان لكنها كفرت بأنعم الله. والكفر في المعنى العام هو: ألا تشكر النعمة لله.

وعندما نمنع النظر بدقة لنرى قانون ربط السبب بالمسببات، وربط السنن الكونية بالكون والمكون والمكون له نجد أشياء عجيبة، فهذه القرية كانت آمنة مطمئنة والرزق يأتيها رغداً من كل مكان. إذن فالقرية هي مكان السكن، وليس مكان السكن فقط هو الذي فيه الرزق بل يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكأن كل مكين في بقعة؛ له بقع خالية في مكين آخر تحدمه. وتلك القرية كفرت بأنعم الله. والكفر في معناه الواضح هو الستر، والقرية التي كفرت بأنعم الله هي التي سترت نعمة الله، فنعمة الله موجودة ولكن البشر الذين في تلك القرية هم الذين ستروا هذه النعمة بالكسل وعدم الاستنباط للنعمة وترك استخراجها من الأرض^(١٢).

وقد تكلم الشيخ - رحمه الله - أيضاً: في تفسير آية (٣٢: من سورة إبراهيم) عن الدورة المائية بصورة جامعة ومختصرة حيث يقول ما نصه: "والنهر ماؤه عادة يكون غدباً ليروي للأشجار التي تُنتج الثمار. والأشجار عادة تحتاج ماء غدباً. وهكذا شاء الله أن يكون ماء البحار والمحيطات مخزناً ضخماً للمياه؛ يحتل ثلاثة أرباع مساحة الكرة الأرضية، وهي مساحة شاشعة تتيح فُرصة لعمليات البخر؛ التي تُحوّل الماء بواسطة الحرارة إلى بخار يصعد إلى أعلى ويصير سحاباً؛ فيسقط السحاب منه الأشجار التي تحتاجه، وتنتج لنا الثمار التي نحتاجها، وكأن الأملاح التي توجد في مياه البحار تكون لحفظها وصيانتها من العطب. ونعلم أن معظم مياه الأنهار تكون من الأمطار، وهكذا تكون دورة الماء في الكون؛ مياه في البحر تسطع عليها الشمس لِتُبخرها؛ لتصير سحاباً؛ ومن بعد ذلك تسقط مطراً يُغذي الأنهار؛ ويصب الزائد مرة أخرى في البحر"^(١٣).

وبعد عرض وبيان ما ذكره كلا الشيخين - رحمهما الله - عن الدورة المائية في تفسيرهما يتضح اتفاقهما في توجيه المعنى نحو الإعجاز القرآني من خلال تفسيرهما الآيات التي ورد فيها ما يدل على الدورة المائية في الكرة الأرضية، وفيما سيأتي

إن شاء الله بيان لبعض من وجوه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم من خلال تدبر الآيات القرآنية التي أشارت إلى تلك الدورة المائية.

(ج) **وجه الإعجاز:**

لقد تحدث القرآن الكريم عن جميع الحقائق المتعلقة بدورة الماء، ونزول المطر بشكل يتفق مع أحدث المعطيات العلمية، الأمر الذي يدعوا إلى التسليم بأن القرآن الكريم هو كلام الله وحده لا شريك له، وأن النبي (صلى الله عليه وسلم) صدق فيما بلغ عن ربه - سبحانه وتعالى - ومن أهم وجوه الإعجاز العلمي في بيان الآيات القرآنية لهذه الدورة المائية ما يلي:

- " أنه لم تكن بيئة مكة والمدينة تعتنى بالبحر وأخباره، فرغم أن مكة قريبة من سواحل جدة إلا أن أهلها ما كانوا يركبون البحر؛ لغياب ثقافة السفر البحري فيها، واهتمامهم بالرحلة إلى البلاد التي تتركب إليها الإبل كالشام واليمن؛ ولذلك يكاد يغيب ذكر البحر وأهواله، أو جماله في الأدب الجاهلي، ويكثر ذكر القوافل وقطعها فيافي الصحراء في الرحلات الطويلة.

كما كانت النظرة العربية إلى المطر ودورته تكاد تقتصر على العلم بدلالة السحب، أو الريح على الغيث في بيئة مجدبة عامة السنة. وما تجاوز العقل العربي النظرة الظاهرية للدورة المائية، وآخر أمره أن يربط البعض منهم أمور الغيث والجذب بمزاج الأضنام (عبادًا بالله تعالى).

في ذاك الجو المقحط، تحدث القرآن الكريم عن المطر والري، والمياه الجوفية، وبعض المظاهر البحرية؛ فكانت صفحات مفتوحة للاختبار العلمي في بابي الإعجاز والعجز العلميين^(١٤).

- بتأملنا لبعض الآيات الكريمة التي تتحدث عن كل جزء من أجزاء هذه الدورة المائية نجد الآتي:

١- **إشارة إلى أهمية الشمس:**

فالشمس هي محرك الدورة المائية؛ ولذلك يقول الله تعالى: **{وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجِجًا}**^(١٥) فالشمس هي التي تبث الحرارة والضوء اللازمين لتبخير الماء وتشكيل الرياح.

٢- إشارة إلى أهمية الرياح:

الرياح هي المحرك الثاني لدورة الماء, وقد تحدث القرآن الكريم عنها بقول الحق سبحانه: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ} (١٦).

٣- إشارة إلى أهمية تخزين الماء:

الماء النازل من الغيوم يختزن في الأرض لمئات السنين دون أن يفسد، مع العلم أن أحدنا لو اختزن الماء لسنة واحدة فإنه سيفسد! ولذلك قال الحق سبحانه: {وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ}.

٤- إشارة إلى دور الرياح:

بعد تبخر الماء يتكثف في السماء على شكل غيوم، والرياح تقوم بمهمة تلقيح السحاب، ولذلك قال الحق سبحانه: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ}.

٥- إشارة إلى تشكل الغيوم:

تحدث القرآن الكريم عن الغيوم العالية الركامية والتي هي مسؤولة عن المطر الغزير، وعن الثلج والبرد يقول تعالى: {الَّذِينَ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنًا بَرَقَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ} (١٧). وهذه الآية من آيات الإعجاز العلمي التي تحتوي على معلومات دقيقة عن هندسة تشكل الغيوم وحدوث البرد.

٦- إشارة إلى توزيع المياه:

الماء لا يذهب عبثا بل يتم تخزينه في الأرض ليتحرك بقدرة الخالق سبحانه على شكل ينابيع عذبة صالحة في معظمها للشرب، وبالتالي تستمر الحياة ولذلك قال تعالى: {الَّذِينَ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ} (١٨).

٧- إشارة إلى البرزخ المائي:

من أهم أجزاء الدورة ما يحدث في منطقة المصب حيث تصب الأنهار في البحار وهذه تحدث القرآن عنها ولم يغفلها، يقول تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا} (١٩).

ولولا أن الأنهار تصب في البحار؛ لجفت هذه البحار، وقد حدث ذلك مع بحر "الأرال" الذي كان يتغذى من نهرين وعندما قام البشر بتحويل مجرى النهرين جف هذا البحر.

لقد نزلت هذه الآيات في عصر كان الاعتقاد السائد فيه أن المطر له آلهة، والرعد له آلهة، والبرق له إله اسمه "زيوس" والشمس هي إله ... وهكذا، لم يكن في هذا الزمن أي تفكير علمي، ونزلت هذه الآيات قبل - ألف وأربعمائة عام - لتحدث بدقة كاملة عن دورة الماء التي اكتشفها الغرب منذ أقل من مائة سنة فقط! ألا تدل هذه الآيات على أن القرآن كتاب الله - سبحانه وتعالى -.

ثانيا: الاستمطار الصناعي بين النظرية والتطبيق:

بداية إن بيان تلك المسألة في هذه الدراسة ليس خروجاً عن حدودها، ولكن مجمل ما تم بيانه من كلام الشيخين فيما سبق وبيان الإعجاز العلمي من وراء ذلك إنما قصد منه ترسيخ الإيمان وزيادته، وإن عرض هذا الموضوع وإن لم نقف فيه على شيء من أقوال الشيخين، فإن ما قاله الشيخان من قبل ذلك هو كفيلاً بترسيخ العقيدة في أن الله سبحانه وحده لا شريك له هو خالق الرياح والرياح والسحاب والمطر ويده ملكوت كل شيء، تلك هي عقيدتنا.

ولقد انزعج كثير من ضعيفي الإيمان عندما أعلنت بعض الدول المتقدمة عن نجاحها في إنزال المطر بصورة صناعية، فكأنهم رأوا بأم أعينهم تكذيب آيات الكتاب واقعا ملموساً أمامهم، وسوف نقف هنا وقفة مع تلك التجارب وما أتبعها من أحداث وتعليقات تثبتنا لقلوب المؤمنين وإغاظة للكافرين وإقراراً وخضوعاً لقول رب العالمين.

قال الشيخ الزنداني: "ويحسن أن نذكر هنا كلمة عالم مختص في هذا الموضوع هو الدكتور محمود جمال الدين الفندي أستاذ الفلك والطبيعة الجوية بكلية العلوم بجامعة القاهرة، الذي يقول: "إن الظروف الطبيعية التي تؤدي إلى تكوين المزن ونزول المطر لا يمكن أن يصنعها بشر، بل وحتى لا سبيل إلى التحكم فيها. ولا يزال موضوع المطر الصناعي واستمطار السحب العابرة مجرد تجارب لم تثبت نجاحها بعد. وحتى إذا ما تم نجاحها فإن من اللازم أن تتوفر في الطبيعة الظروف الملائمة للمطر الطبيعي حتى يمكنه استمطار السماء صناعياً، أي إن واجب علماء الطبيعة الجوية لا

يتعدى قدح الزناد فقط، بتوليد حالات من فوق التشبع داخل السحب الركامية، وعلى الأخص داخل مناطق نقط الماء فوق البرد" (٢٠).

(أ) ما الاستمطار؟

الاستمطار: هو محاولة إسقاط الأمطار من السحب الموجودة في السماء، سواء ما كان منها مدرا للأمطار بشكل طبيعي أم لم يكن كذلك (٢١). ويتركز الاستمطار في الواقع المعاصر في محاولة لإنجاح أحد أمرين:

- ١- تسريع هطول الأمطار من سحب معينة، فوق مناطق بحاجة إليها بدلا من ذهابها إلى مناطق لا حاجة لها إلى الماء؛ لظروفها الطبيعية الملائمة للإدراج الطبيعي.
- ٢- زيادة إدراج السحابة عما يمكن أن تدره بشكل طبيعي (٢٢).

(ب) الطرق العلمية للاستمطار:

١- رش السحب الركامية المحملة ببخار الماء الكثيف، بواسطة الطائرات، برذاذ الماء؛ ليعمل على زيادة تشبع الهواء، وسرعة تكثف بخار الماء، ومن ثم إسقاط المطر، إلا أن هذه الطريقة غير مجدية عمليا إذ تحتاج إلى كميات كبيرة من الماء.

٢- قذف بلورات من الثلج الجاف (ثاني أكسيد الكربون المتجمد)، بواسطة الطائرات في منطقة فوق السحب؛ لتؤدي إلى خفض درجة حرارة الهواء، وتكون بلورات من الجليد عند درجة حرارة منخفضة جدا؛ لتعمل على التحام قطرات الماء الموجودة في السحب وسقوطها كما في حالة المطر الطبيعي.

٣- رش مسحوق (إيود الفضة) (agi) بواسطة الطائرات، أو قذفه في تيارات هوائية صاعدة لمناطق وجود السحب، ويكون ذلك باستخدام أجهزة خاصة؛ لنفث الهواء بقوة كافية إلى أعلى، حيث يعد إيود الفضة أجود نويات التكاثف الصلبة التي تعمل على تجميع جزيئات الماء وإسقاطها أمطارا غزيرة على الأرض (٢٣). ومع ذلك فإن التحكم في معدل سقوط المطر الاصطناعي، ومكان سقوطه، لا يزالان من أهم المشكلات التي تواجه المختصين في مجال علم الأرصاد، "كما أن عمليات إسقاط

المطر مكلفة للغاية، وغير اقتصادية بالمرة؛ لذا لم تخرج إلى حيز التنفيذ الميداني إلا على شكل تجارب بحثية بهدف الدراسة^(٢٤).

ج - المحصلة العملية للمطر الصناعي:

حذرت المنظمة العالمية للأرصاد الجوية الدول الفقيرة من الاندفاع وراء أوهم المطر الصناعي، ووصفته بأنه ينطوي على نوع من الاستغلال من قبل الدول الغنية، التي تسعى لفتح أسواق تبيع فيها وسائل التكنولوجيا المتعلقة بهذا الموضوع؛ لتحقيق أعلى مكاسب مادية ممكنة على أكتاف الدول الفقيرة. وقد أخذت المنظمة هذا الموقف، بعد الأبحاث والدراسات التي أجرتها في فترة السبعينيات فوق أسبانيا ومناطق أخرى من العالم، واكتشفت من خلالها عدم جدوى هذه التجارب^(٢٥).

وكذلك فقد صرح الدكتور (حسين زهدي) الرئيس المصري الأسبق لهيئة الأرصاد الجوية بأن عملية الاستمطار ما زالت مجرد مشاريع وأبحاث غير مؤكدة، ولا يستطيع العلماء أن يثبتوا فعليا أن المطر قد زاد بالفعل نتيجة لتدخل الإنسان.

وفي لقاء مع الدكتور (زين العابدين السيد رزق) عميد معهد البيئة والمياه والطاقة بجامعة عجمان، والحاصل على كرسي اليونسكو في البيئة وموارد المياه، سئل: ما مدى جدوى الاستعانة بتطبيقات العلم الحديث في استمطار السحب؟

فأجاب: فكرة استمطار السحب لتوفير مصادر بديلة للمياه، تبدو فكرة طيبة نظريا، ولكن الواقع يقول إنها مكلفة وغير مأمونة النتائج^(٢٦).

وقد عقدت الندوة الاقتصادية حول موارد المياه في المملكة العربية السعودية تحت عنوان: "الاستمطار الصناعي هل هو مجد لنا في المملكة"، وبمشاركة كل من:

الدكتور عبد العزيز سليمان الطرباق، أستاذ الهيدرولوجيا ومصادر المياه، بقسم الهندسة المدني، جامعة الملك سعود بالرياض، والدكتور علي بن سعد الطخيس، وكيل وزارة المياه والكهرباء بالمملكة العربية السعودية، والدكتور عبد الملك بن عبد الرحمن بن إسحاق آل الشيخ، أمين عام جائزة (الأمير سلطان بن عبد العزيز)، ورئيس مشروع (الملك فهد) لحصد وتخزين مياه الأمطار، والدكتور عبد العزيز بن محمد البسام، الأستاذ

المشارك بكلية العلوم جامعة الملك سعود بالرياض، والدكتور عبد الرحمن بن محمد الدخيل، رئيس إدارة وتخطيط مصادر المياه الجوفية، وعضو هيئة التدريس قسم الجيولوجيا بكلية العلوم جامعة الملك سعود بالرياض، والدكتور إبراهيم المعتاز، الأستاذ المشارك بكلية الهندسة جامعة الملك سعود بالرياض.

وقد جاء في تصريحات المشاركين ما يلي:

قال د.الدخيل: بالنسبة إلى مسألة استمطار السحب، أجريت تجربة في الإمارات ولم تكن موفقة. وقال د.المعتاز: أصف مياه الاستمطار (بمياه الوهم) حيث يتم استمطار السحب بنشر نترات الفضة، أو غيره على ارتفاعات عالية، مما يجعل جسيمات الماء تترايط، ومن ثم تتجمع السحب، وهذا أسميه ماء وهمياً؛ لأنه قد لا يتكون على الرغم من الجهود المبذولة لذلك، وحتى لو حدث هذا فقد لا ينزل، وإذا سقط فقد يكون متفرقا، أو بعيدا عن المكان المطلوب، أكرر أن هذا الأمر من الأوهام ولم ينجح في أي منطقة في العالم، وفي منطقتنا لن ينجح البتة؛ لأن لدينا ضغوطا جوية مرتفعة، كما أعتقد أنه لا يوجد في كل مناطق المملكة، بل إنه فشل في الدول ذات الضغوط المنخفضة، مثل أسبانيا التي أجريت فيها هذه التجربة مرارا، كما أقول إن الرطوبة هي عامل لتكوين السحب، وليست الأساس لتكوينها، وتكاثف السحب يتم بآلية صعبة جدا يصعب محاكاتها وإسقاطها في المكان والتوقيت اللذين نريدهما.

وكانت من توصيات الندوة ما يلي:

١- إيقاف مشروع الاستمطار الصناعي واستبدال تقنيات أكثر فائدة بما.

٢- تمثل هذه التجارب مخاطر كبرى، حيث الاحتمال الوارد بأن تحمل قطرات المطر المواد الكيماوية المستخدمة في الاستمطار، والتي تتسبب ببعض الأضرار العضوية في الطبيعة، أو في الإنسان، مما يستوجب التحفظ بشكل كبير في هذا الخصوص وعدم الاندفاع في هذه التجربة قبل أن يتم التأكد من سلامتها على طبقة الأرض وعلى الحياة العامة.

٣- اللجوء للوسائل البديلة لتوفير مياه الشرب مثل:

- التوسع في مشروع حصد وخرن مياه الأمطار وتطوير تقنياته؛ للنتائج العظيمة التي حققها في وقت وجيز.
- التوسع في بناء السدود في كل مناطق المملكة، والعمل على تخزين مياه الأمطار في باطن الأرض.
- تنويع وتطوير كل مصادر المياه؛ لتخفيف استنزاف المياه الجوفية.
- استنباط أصناف زراعية تستهلك مياه أقل، وتعميم هذه الأصناف.

كما صرح (الدكتور صالح بن محمد الشهري)، مدير المركز الوطني للأرصاد وحماية البيئة، والرئيس التنفيذي للبرنامج، بأن المملكة العربية السعودية قد لجأت فترة من الزمن في برنامجها للدراسات وأبحاث فيزياء السحب؛ لتنفيذ مشروع لاستمطار السحب بواسطة (أيود الفضة)، والمدافع الأرضية بدلا من نظام الطائرات، لما شاع مؤخرا من أن استخدام المدافع الأرضية في الاستمطار حقق نجاحا كبيرا في عدد من الدول التي نفذت هذه الآلية. إلا إنه وبعد زمن طويل من الفشل، عزا الدكتور الشهري عدم تحقيق جدوى في مشروع الاستمطار؛ لعدم تجمع الغيوم في سماء المدينة، وهو الأمر الذي لم يحدث منذ ٢٦ عاما. إلا إنه وبعد أسبوعين فقط من إنهاء التعاقد مع الشركة الأجنبية المكلفة بتنفيذ مشروع الاستمطار، هذا مقابل ثلث المبلغ المتعاقد عليه في حالة إنزال المطر، بعد أسبوعين فقط هطلت السماء على المملكة بسيل غزير جرف الأراضي وكاد أن يغرق المنازل^(٢٧).

وقد أكد كثير من الباحثين في علم الاستمطار أن التجارب التي أجريت كانت في أغلبها سلبية، بل إنه في العديد من المشاريع - خاصة مشاريع بذر السحب - كانت النتيجة معاكسة، حيث حدث تناقص في الهطول، وكانت نسبة التناقص تفوق نسبة الزيادة المعتادة والمتوقعة قبل إنجاز المشروع.

والخلاصة: إن نزول المطر من السماء صالحا للشرب وبالقدر الذي يحتاج

إليه البشر إنما هو بتقدير الملك العلام - سبحانه وتعالى - يقول الحق تبارك وتعالى: **{أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ}**^(٢٨). أي: أفرايتم الماء العذب الذي تشربون منه. أنتم أنزلتموه من السحاب الممطرة؟ فعملية الإمطار تتطلب توفر ظروف جوية خاصة لا يمكن أن يسيطر عليها الإنسان، وإن محاولة الإنسان استمطار السحب صناعيا لو سلمنا بنجاحها فإن النجاح كان محدودا جدا وبشرط توفر

بعض الظروف الطبيعية! وإن الآية الكريمة توضح أن الله - سبحانه - تعالى - قادر على جعل ماء المطر ملحا لا يساغ لعل الناس يشكرونه على نعمته سبحانه وسأعرض الآن دررا من كلام الشيخين - رحمهما الله - حول معنى الآيات الكريمة.

أولا: تفسير طنطاوي جوهرى - رحمه الله :-

بين الشيخ طنطاوي جوهرى - رحمه الله - معنى المزن في تفسيره سورة الواقعة تحت قسم سماه (القسم الثالث: في ذكر العجائب الكونية، والاستدلال بها على وجود الخالق سبحانه وتعالى وقدرته) فقال: (المزن السحاب واحده مزنة، أو المزن السحاب الأبيض وماؤه أعذب {أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ} بقدرتنا، والرؤية وهي بمعنى العلم قد علقت عن العمل بالاستفهام {لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا} ملحا أو مرا لا يقدر على شربه (٢٩).

ثانيا: تفسير الشعراوي - رحمه الله :-

تعرض الشيخ الشعراوي لتفسير الآيات الكريمة حين تفسيره آية (٩٩) من سورة الأنعام) فقال: (والماء يأتي من السحاب، وكلنا نرى السماء تمطر. وكلنا نعرف التعبير الفطري الذي يقول: غامت السماء، ثم أمطرت، وهناك من قال: تضحك الأرض من بكاء السماء لأنها تستقبل الماء الذي يروي ما بها من بذور. لكن ما وراء عملية الإنزال هذه؟ إن هناك عملية أخرى تحدث في الكون دون شعور منا، عرفناها فقط حين تقدم العلم وحين قمنا بتقطير المياه، فأحضرنا موقدًا ووضعنا فوقه قارورة ماء، وحين وصل إلى نقطة الغليان خرج البخار، وسار البخار في الأنابيب ومرت الأنابيب في أوساط باردة فتكثفت المياه ونزلت ماء مقطرًا، ومثل ذلك يحدث في المطر، وانظر كم يكلفنا كوب واحد من الماء المقطر الذي نشتره من الصيدلية؟ وقارن ذلك بالسماء التي تنزل بماء منهمر، ولا ندري كيف صنع. ولذلك يقول الحق: {أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ} (٣٠). هكذا ينزل الماء من السماء، ولم تكن نعرف كيف يحدث ذلك) (٣١).

يلاحظ من كلام الشيخ - رحمه الله - أنه تحدث عن عظمة الخالق سبحانه في خلق المطر وإنزاله من السماء دون تدخل للبشر في ذلك، وأن هذا إنما فيه إعجاز للخلق جميعا. وقد جاء معنى كلمة المزن في ثنايا كلامه - رحمه الله - ببيان

الإعجاز العلمي في نزول الماء من السماء، وبيان دور السحاب في ذلك، فالحمد لله الذي من علينا بنعمة الرياح، والسحاب، والمطر.

خاتمة

لقد أشار القرآن الكريم إما تصريحاً أو تلميحاً إلى حقائق علمية كثيرة منذ أكثر من - ألف وأربعمائة عام -، فقد كان العلماء من غير المسلمين يصابون بالدهشة والاستغراب وتختلف تعبيراتهم في ذلك، إلا أنهم يكادون يجمعون على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من عند البشر؛ بل إن منهم من أعلن صراحة بأن نبينا محمداً (صلى الله عليه وسلم) هو رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين (عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين)، ومنهم من شهد شهادة الحق فنطق بالشهادتين وأقر الله - عزوجل - بالوحدانية ولنبية (صلى الله عليه وسلم) بالرسالة، وشهد بأن القرآن كلام الله - سبحانه - وأنه ليس كلام بشر، وإذا كان هؤلاء وهم من قادة العلوم يقولون هذا فإنهم يقيمون الحجة بذلك على من هم في منزلتهم العلمية فضلاً عما دونهم من أبناء قومهم، إنهم يفتحون لهم الأبواب الموصدة، ويمهدون لهم الطريق الموصل إلى الإيمان بالله رب العالمين؛ وبذلك تسقط أباطيل المعرضين عن الإيمان بعد قيام الحجة ووضوح الحاجة.

يقول تعالى: {وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} (٣٢). ويقول تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (٣٣).

وإن قيامي بإعداد هذه الدراسة هو من باب تحمل جزء من الأمانة والمسؤولية المنوطة بالأمة كلها في بيان وجوه الإعجاز المتعددة في كلام رب العالمين - سبحانه - وتحلية ذلك للمسلمين وغير المسلمين حتى يتسنى لنا بذلك الدعوة لمن يبحث بصدق عن الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، وفي الوقت نفسه يكون في ذلك دحضا لشبهات المشككين وافتراءاتهم، والله المستعان.

ويمكن إجمال أهم نتائج هذه الدراسة فيما يلي:

١- الإعجاز العلمي هو وسيلة من أهم الوسائل المناسبة لدعوة المسلمين، وغير المسلمين في العصر الحاضر؛ وذلك لأن القرآن الكريم يتحدى أهل كل عصر فيما نبغوا وتفوقوا فيه فلا بد أن تكون أساليب الدعوة مناسبة لكل عصر.

- ٢- الإعجاز العلمي متفق عليه بين العلماء؛ لأنه يُستشهد فيه بالحقائق العلمية الثابتة، أما التفسير العلمي فمختلف فيه؛ لأنه يُستشهد فيه بالنظريات العلمية الخاضعة للقبول والرفض.
- ٣- تميز منهج الشيخ الشعراوي - رحمه الله - بالتوفيق بين دلالة النص والحقيقة العلمية لإظهار سبق الإعجاز القرآني في الحديث عن الحقيقة الثابتة، بينما أكثر الشيخ طنطاوي جوهرى من الربط بين دلالة النص والحقيقة العلمية تارة، وكذلك النظرية العلمية تارة أخرى.
- ٤- لا سبيل لمعرفة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم دون دراسة الواقع العلمي في القرن السابع، وإدراك روافد المعرفة العلمية للعرب في ذلك الزمان.
- ٥- هناك مكتشفات وحقائق علمية ثابتة في العقد الثاني من هذا القرن لدى جماهير المتخصصين في علم الفلك والأرصاد الجوية، لم تحظ بدراسات وافرة ومستقلة من منظور الإعجاز العلمي، وقد أشرت إلى ذلك في المبحث الخامس من الفصل الثاني، والتي نستخلص منها النتائج الآتية:
- أ- أن كتلة مياه الأرض المتمثلة في مستوى سطح البحر أيضا تتغير خلال العام، كما وجد أن النمو في مستوى سطح البحر مرتبط بمواد من الفضاء الخارجي، وليست محصورة على الاحتباس الحراري فقط كما كنا نعتقد في الدراسات السابقة.
- ب- أن كتلة الأرض الكلية تتغير فيوجد تدفق إلى داخل الأرض، بينما يوجد تدفق خارجي أيضا من الأرض. وهذا يتوافق مع دراسة سابقة أثبتت أنه يوجد تدفق داخلي وخارجي مع بعض الكواكب في المجموعة الشمسية.
- ج- أن حجم الغلاف الجوي يتغير باستمرار نتيجة تفاعلها مع الرياح الشمسية ومقذوفات الكتلة الإكليلية الشمسية في وسط ما بين الكواكب "وهي غازات مكونة من جسيمات مشحونة/مؤينة".
- د- أن هناك دراسات توصل إليها باحثون آخرون تؤكد أن الرياح الشمسية التي تحتوي على عناصر المياه، هي مصدر المياه على بعض الكواكب التي ليس بها محيطات ولا غلاف جوي.

٦- ضرورة اللجوء للوسائل البديلة لتوفير مياه الشرب، وقد تبنت دول مجاورة هذا المشروع وتحقق لديها نجاحات عملاقة من التوسع فيه وقد قامت هذه المشروعات على بعض الأمور منها:

أ- دراسات معدة من أكثر من فريق من المتخصصين تهدف إلى مشروع حصد وخزن مياه الأمطار وتطوير تقنيات هذا المشروع؛ للنتائج العظيمة التي من الممكن أن يحققها في وقت وجيز.

ب- العمل على تخزين مياه الأمطار في باطن الأرض من خلال الإمكانات والآليات الحديثة.

ج- تنويع وتطوير كل مصادر المياه؛ لتخفيف استنزاف المياه الجوفية.

د- استنباط أصناف زراعية تستهلك مياه أقل، وتعميم هذه الأصناف.

٧- استخلاص وبيان النتائج العلمية المعاصرة ومحاولة بيان بعض من الحجج والبراهين العقلية من خلال الإعجاز العلمي، يساعد على دحض شبهات المشككين، والرد على افتراءاتهم بصورة علمية تنسجم وتطورات العصر.

٨- هناك وسائل مختلفة استخدمها كلا الشيخين الجليلين، للوصول إلى التطابق العلمي مع آيات القرآن الكريم، حيث استخدم الشيخ جوهرى الحقيقة العلمية، وكذلك النظرية العلمية، بينما اقتصر الشيخ الشعراوي على استخدام الحقيقة العلمية الثابتة والمؤكدة، وهذا يتفق مع أهم شروط البحث في الإعجاز العلمي.

كما يمكن إجمال أهم التوصيات فيما يلي:

١- ضرورة استنهاض عقول المسلمين، واستثارة التفكير الإبداعي، والتشجيع على استعادة الاهتمام بقضية العلوم والتقنية، وبيان أن ذلك وسيلة من أهم وسائل الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى-، في عصر ذاع فيه العلم والتقنيات الحديثة.

٢- محاولة المساهمة في خدمة كتاب الله - سبحانه وتعالى- بما يناسب فهم الأجيال المعاصرة كل على قدر ما عنده من علم وجهد.

- ٣- محاولة إيجاد أكثر من أكاديمية للإعجاز العلمي؛ لتخريج متخصصين قادرين على طرح القضايا بأسلوب علمي دقيق يتفق وروح العصر.
- ٤- تبسيط حقائق الإعجاز العلمي، وإدخالها في المناهج التربوية؛ لإعداد جيل يفهم آيات الآفاق والأنفس.
- ٥- تكوين فريق مشترك من تخصصات مختلفة كل يخدم كتاب الله - جل وعلا - حسب تخصصه.
- ٦- توظيف هذا النوع من التفسير للدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - خصوصا لغير المسلمين الذين يؤمنون بحقائق العلم.
- ٧- ترجمة الكتب المعتبرة المتعلقة ببيان أوجه الإعجاز المتعددة في القرآن الكريم إلى لغات عديدة.

الهوامش

- (١) المتبادر للذهن أن هذا المصطلح يراد به كل من الإمامين الجليلين (البخاري ومسلم)، واستعمالي لهذا المصطلح في هذه الدراسة للتعبير عن الشيخ جوهرى، والشيخ الشعراوي (من أجل الاختصار).
- (٢) المؤمنون: ١٨.
- (٣) المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، المؤلف: محمد محمود محمدين/ طه عثمان الفراء، الناشر: دار المريخ، الطبعة: الرابعة، ج١/ص٢١٤، بتصرف كبير.
- (٤) الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، د. سليمان عمر قوش، دار الحرمين بالدوحة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ١٥٤.
- (٥) قد سبق أن أشرت إلى ردود العلماء على تلك المسألة التي تكرر ذكرها في تفسير الشيخ (جوهرى) والتي تدور حول القول بتحضير الأرواح إلى الحياة الدنيا وأن هذا علم يجب أن يدرس كما ذكر الشيخ في تفسيره، وللوقوف على تلك الردود، انظر: التمهيد، "أهم ما يؤخذ عليه"، ص(٢٢).
- (٦) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهرى، مصدر سابق، ج١٢/ص٢٠٥.
- (٧) بتصرف من البرنامج التلفزيوني المصري "العلم والإيمان" حلقة بعنوان: (أسرار المياه)، إعداد وتقديم د. مصطفى محمود.
- (٨) تؤكد بعض الدراسات أن كتلة مياه الأرض المتمثلة في مستوى سطح البحر أيضا تتغير خلال العام، كما وجد أن النمو في مستوى سطح البحر مرتبط بمواد من الفضاء الخارجي وليست محصورة على الاحتباس الحراري فقط كما كنا نعتقد في الدراسات السابقة، وقد سبق أن فصلت ذلك في المبحث الخامس من الفصل الثاني. انظر: ص(٢١٢).
- (٩) الزمر: ٢١.
- (١٠) فصلت: ٩ - ١٠.
- (١١) النحل: ١١٢.
- (١٢) تفسير الشعراوي - الخواطر، مصدر سابق، ج٤/ص٢٤٤٥، بتصرف. (١٣) المصدر السابق، ج١٢/ص٧٥٤٤.
- (١٤) العلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل، د. سامي عامري، تقديم د.

- محمد العوضي - أ.د. عبد الرحمن الشهري - د. منقذ السقار، الناشر: رواسخ- الكويت، الطبعة الثانية: ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م، ص ٢٨٦.
- (١٥) النبأ: ١٣.
- (١٦) الحجر: ٢٢.
- (١٧) النور: ٤٣.
- (١٨) الزمر: ٢١.
- (١٩) الفرقان: ٥٣.
- (٢٠) توحيد الخالق، عبد المجيد الزنداني، مصدر سابق، ج ١/ص ٢٩٨، بتصرف يسير.
- (٢١) الاستمطار، د. علي موسى، دار الفكر المعاصر، ص (٥٨). (٢٢) المصدر السابق، ص (٦).
- (٢٣) تلوث البيئة، د. شفيق يونس، مجلة العلوم والتقنية، العدد الثاني عشر، ص (١٨).
- (٢٤) المصدر السابق، ص (١٨).
- (٢٥) أسماء الله الحسنى الدالة على الخلق والإبداع وإعادة الخلق، إعداد: أكاديمية أسس للأبحاث والعلوم، دار الخلفاء الراشدين، الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م، ص ٤٦٩.
- (٢٦) المصدر السابق، ص ٤٦٩.
- (٢٧) آيات الله في الأفاق، عبد المجيد الزنداني، مصدر سابق، ص ٢١-٢٨، بتصرف كبير.
- (٢٨) الواقعة: ٦٨ - ٧٠.
- (٢٩) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مصدر سابق، ج ٢٤ / ص ٨٠.
- (٣٠) الواقعة: ٦٩.
- (٣١) تفسير الشعراوي - الخواطر، مصدر سابق، ج ٦ / ص ٣٨٢٥ - ٣٨٢٦.
- (٣٢) الشورى: ١٦.
- (٣٣) الأحقاف: ١٠.